خطبة صلاة الجمعة 20/6/2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أخطاء شائعة (19)– تعسير الزواج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:286].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:135]

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذا أَخْطَأَ خطيئَة، نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ، فإذا هو نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتابَ، صُقِلَ قلبُه، وإنْ عادَ، زِيدَ فيها، حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وهو الرَّانُ الذي ذكره الله {كلا بل رانَ على قُلُوبِهِمْ ما كانوا يكْسِبُونَ}** [المطففين: 14]» [الترمذي].

هذه هي الخطبة التاسعة عشرة في سلسلة: (**أخطاء شائعة**).

هدفُ السلسلة السعيُ لتصحيح ما استطعنا من هذه الأخطاء، فإن الله تعالى لا يهلك قرية أهلها متناصحون مصلحون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

تتناول السلسلة خطأً في العلاقات الأسرية مرةً, وشعارها: (أسرتي سكني ومسؤوليتي)، وخطأً في معاملاتنا المالية مرة أخرى، وشعارها: (أسواقنا مرآة ديننا).

وخطبة اليوم من النوع الأول، واسمحوا لي أن أُخفيَ عنوانها لتضعوه أنتم في آخر الخطبة.

تقول الخطبة:

ثمنُ غرفةِ النوم مائتا ألف ليرة سورية، ثمنُ البراد والغسالة وفرن الغاز وأواني المطبخ مائتا ألف ليرة، ثمن أثاث غرفة الجلوس وبعض الأدوات الكهربائية والالكترونية والتكميلية مائتا ألف ليرة.

المهر مقدَّمُه مائتا ألف ليرة ومؤخره ثلاثمائة ألف غير مقبوضة، يُضاف إليهما مائة وخمسون ألف ليرة سورية لملبوس البدن.

قيمة هدايا فترة ما بين العقد والعرس مائة ألف ليرة، تكاليف حفلة العرس -إن كانت بسيطةً- مائة وخمسون ألف ليرة.

تلبيس الزوج زوجته ذهباً في حفلات الخطوبة والعقد والعرس بقيمة مائتا ألف ليرة سورية.

كل هذا مطلوب من العروس الزوج إن كان من أسرة متوسطة الدخل أو دون ذلك، ومطلوبٌ أيضاً:

أن يكون مالك بيت أو قُل مستأجره، وأن يكون صاحب عمل مستقل، أو قلْ موظفاً بوظيفةٍ ذي دخل جيدٍ وثابت، وأن يكون وسيماً أو قل فكِهاً مزوحاً ضحوكاً، وأن يكون شاباً في مقتبل العمر، ذكياً ديناً لبقاً مرناً مطواعاً حنوناً، مستمعاً جيداً، ابن عائلة، يستطيع تدليل المرأة ولا يقسو عليها، وإن أساءَتْ أمها له فلا يسيءُ إليها!.

بهذه الطلبات والشروط نحن -أهلَ الشام- نزوِّجُ بناتنا، ولعل لنا أشباهاً ونظائر.

فهل ترون هذه الطلبات والشروط ميسِّرةً للزواج معينةً على العفاف؟

أيها الإخوة:

الزواجُ وبناءُ الأسرة سببٌ في إعمار الأرض وحصانتها، وعندما تتحول القضايا الكبرى إلى مظاهر وبهارج وتتخلى عن حقائقها وأهدافها، فإن بطنَ الأرض خيرٌ من ظاهرها.

أرأيتُم إذا تحوَّلتِ العلومُ الجامعيةُ إلى حفلات تخرُّج وتسليم شهادات واحتفالات نجاح من دون الاعتناء بالحقائق العلمية والعملية التي اكتسبها الطالب، فما قيمةُ هذه الاحتفالات والشهادات؟.

أرأيتُم إلى جهازٍ كهربائي يعتني المنتجون بغلافه أيَّما اعتناء، ويبهرجونه أيَّما بهرجةٍ، ويفخمونه الفخامة كلها، فإذا فتحتم الغلاف وأطلقتم الجهاز للعمل عَطِبَ في يومه الأول، وتوقَّف عن العمل في يومه الثاني، فما قيمة المظاهر عند الحقائق؟.

إنَّ إرهاقَنا الشبابَ المقبلين على الزواج بطلباتٍ مادية كثيرة وكمالياتٍ متعددة تُبعِدُ الزواجَ عن مقاصده وتُنفِّر الشباب من بناء أسرة.

كيف نفعل وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32]

وفي هذه الآية أمر بالتزويج (وأنكحوا) يعني وزوِّجوا، وكلُّ أمرٍ في القرآن فالأصل أنه للوجوب، والأيامى جمعُ أيِّم، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء.

والخطاب في الآية لأولياء الأمور من آباء وقضاة ووجهاء وأغنياء وحُكَّام.

فما أرى أباً أرهقَ خاطبي ابنتِه بالطلبات المادية ملتزماً بهذه الآية، بل لعلَّه يعضُلُها، ولعلَّ ولايتَهُ عليها في هذه المسألة تسقطُ لعضلها عن الزواج.

وما أرى أمَّاً تشترط الشروطَ الثقال على خاطب ابنتها تعمل بهذه الآية بل لعلها تعمل بضدها.

وبالمقابل فإنَّ في معونة الأغنياء والحكام والوجهاء والآباء للشباب في الزواج إقامةً لهذه الآية وعملاً بها.

واعلموا -أيها الإخوة- أنَّ الزواج يكون في بعض الحالات **فرض**:

فالشاب الذي تاقتْ نفسُه للزواج، ووجد الأهبةَ الماديةَ والمعنوية، وخاف على نفسه الفاحشة إن لم يتزوج فالزواج في حقه مفروض.

والبنتُ التي تاقت للزواج، وجاء الخاطبُ الكُفْءُ وخشينا عليها الوقوع في الفاحشة إن لم تتزوج، فالزواج في حقها مفروض.

والقاعدة الفقهية تقول: (ما أدى إلى واجبٍ فهو واجبٌ).

فإذا كان الزواجُ في بعض الحالات واجباً، فما يؤدي إليه يصير واجباً، من تيسيرِ أمورِه وتسريعِ قيامِه، والمساعدة فيه.

وما يصدُّ عنه يصير حراماً، من تعسير متطلباته وتأخيره عن أوقاته.

وحتى يطمئن الآباء وحتى تهدأ مخاوفُ الأمهات والبنات على مستقبلهن المادي ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 32]

قال ابنُ كثير في تفسيره: (وَالْمَعْهُودُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفِهِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَإِيَّاهَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لَهُ وَلَهَا).

روى ابنُ أبي حاتم بسنده قال أبو بكر الصديق: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح, يُنجزْ لكم ما وعدكم من الغنى, قال تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾, وروى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونُهم: الناكحُ يريدُ العفاف, والمكاتبُ يريدُ الأداء, والغازي في سبيل الله**».

على أني أقول للشباب الذين تتوق أنفسهم للزواج ولا يجدون الأهبة أن الله تعالى يقول لهم في الآية الثانية: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

قال ابنُ كثيرٍ: (هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ لَا يَجِدُ تَزْوِيجًا بِالتَّعَفُّفِ عَنِ الْحَرَامِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء**»).

أيها الإخوة:

في آخر مسْحٍ صحيٍّ جرى في سوريا ظهرَ أن متوسطَ عُمر الزواج بالنسبة للشباب عندنا (29.3) بالنسبة للذكور، و (25.6) بالنسبة للإناث، علماً أنَّ هذه السنَّ تزيدُ كثيراً في بعض المحافظاتِ وتقلُّ في أخرى، لكنه المتوسط، وهي سنٌّ متأخرةٌ كما ترون.

هذا بالإضافة إلى نسب العنوسة وارتفاعها في السنوات الأخيرة.

وأعتقدُ أنَّنا جميعاً مدعوون لتخفيضِ هذه الأرقام والنسب؛ لندعم شبابنا وفتياتنا ولنحافظ على عفةِ مجتمعنا، وليستقيمَ لنا دينُنا.

وها أنا أختمُ الخطبة بعادات حسنةٍ وآلياتٍ في تيسير أمور الزواج وتقليل متطلباتِه، كانت ساريةً في الشام من قبل، وبعضها موجودٌ في أريافه أو في أحيائه الراقية، لعلها تُحرِّضُ عند بعضنا أو عندنا كلنا

اهتماماً زائداً بتقليل متطلباتِ الزواج وتيسير أموره، وتنفِّرُ بعضنا أو كلنا من الإكثار في طلبات الزواج وتعسير أموره:

- كانتِ المرأةُ في الشام قديماً إذا أخذت مهرها أو شيئاً منه اشترتْ جهازاً للبيت، وأعتقد أنَّ كثيراً من الإخوة الحاضرين ممن تزوج قديماً أخرجتْ زوجتُه من مهرها في جهازها خزانةً أو سجادةً أو أثاثَ واحدةٍ من الغُرَف أو نحو ذلك، فهو مهرٌ للمرأة من جهةٍ، وعونٌ للزوج على فرش بيتهما من جهة ثانية.

غير أني أطلب من الأخوات الكريمات أن لا يمنّنَّ أزواجهنَّ بهذه الأشياء كل حين وآخر.

- بعضُ قرى الريف توَافَق وجهاؤُها على ألَّا تكونَ مهورُ بناتهم مرتفعةً بل كانتْ أرقاماً مشجعةً للشباب على الزواج، وكان الاتِّفاقُ ملزِماً أدبياً بشكل عام.

- بعضُ الإخوة الميسورين يقدمون من زكاة مالهم أو من صدقاتهم بطريقة مدروسةٍ شققا سكنيةً مقبولةً لكل شابٍّ مجتهدٍ صالحٍ يعمل في منشأتهمُ الصناعية.

- إحدى العائلاتِ أنشأتْ صندوقَ زكاة بإشرافِ ثلاثةٍ من كبار العائلة، يضعُ أغنياؤهم الزكاةَ فيه، اشترَوا بمال الزكاة أرضاً ثم بنَوا عليها محضرين اثنين بشقَقٍ تُناسبُ المتزوجين الجُدُد، وهم يقدمونَ شقةً لكل شابٍّ فقيرٍ في الأسرة ليتزوج فيه، ضمنَ ضبطٍ ماليٍّ وإداريٍّ وشرعيٍّ مناسبٍ.

هذه بعضُ الآلياتِ، ولعل عندكم منها الكثيرَ أو أحسنَ منها. واذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عنه ابن حبان في صحيحه: «**خيرُ النكاح أيسرُه**».

ختاماً: ماذا تقترحون أن نعنونَ هذه الخطبة في سلسلة أخطاء شائعة؟

اخترتُ عنوان (**تعسير الزواج**).

أيها الإخوة:

تعسير الزواج بالإكثار من متطلباته المادية خطأٌ، والصوابُ التوسطُ والتيسيرُ ومعونةُ الكفء الذي لا يستطيعها.

نسأل الله أن يعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا حتى يعجِّلَ لنا بالفرج.

والحمد لله رب العالمين